بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى روى البيهقي في المدخل بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحد في تركه فسنة
مني ماضية فإن لم يكن سنة مني فما قال أصحابي إن أصحابي بمنزلة النجوم في السما فأيما أخذتم
به اهتديتم واختلاف أصحابي لكم رحمة في هذا الحديث فوائد منها إخباره صلى الله عليه وسلم
باختلاف المذاهب بعده في الفروع وذلك من معجزاته لأنه من الإخبار بالمغيبات ومنها رضاه
بذلك وتقريره عليه ومدحه له حيث جعله رحمة والتخيير للمكلف في الأخذ بأيها شاء من
غير تعيين لأحدها ويستنبط منه أن كل المجتهدين على هدى وكلهم على حق فلا لوم على أحد
منهم ولا ينسب إلى أحد منهم تخطئة لقوله فأيما أخذتم به اهتديتم فلو كان المصيب واحدا
والباقي خطأ لم تحصل الهداية بالأخذ بالخطأ ولذلك سر لطيف سنذكره قريبا وقال ابن
سعد في الطبقات أنا قبيصة بن عقبة ثنا أفلح بن حميد عن القاسم بن محمد قال كان اختلاف
أصحاب محمد رحمة للناس أخرجه البيهقي في المدخل وقال ابن سعد أنا قبيصة بن عقبة
ثنا سفيان عن إسماعيل بن عبد الملك عن عون عن عمر بن عبد العزيز قال ما يسرني
باختلاف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حمر النعم ورواه البيهقي في المدخل بلفظ ما سرني
لو أن أصحاب محمد لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة وأخرج الخطيب البغدادي
في كتاب الرواة عن مالك من طريق إسماعيل بن أبي المجالد قال قال هارون الرشيد
لمالك بن أنس يا أبا عبد الله نكتب هذه الكتب ونفرقها في آفاق الإسلام لنحمل عليها
الأمة قال يا أمير المؤمنين إن اختلاف العلما رحمة من الله على هذه الأمة كل يتبع
ما صح عنده وكل على هدى وكل يريد الله وأخرج أبو نعيم في الحلية عن عبد الله
ابن عبد الحكم قال سمعت مالك بن أنس يقول شاورني هارون الرشيد في أن يعلق
الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه فقلت لا تفعل فإن أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وكل مصيب فقال وفقك الله يا أبا
عبد الله وأخرج ابن سعد في الطبقات عن الواقدي قال سمعت مالك بن أنس
يقول لما حج المنصور قال لي إني قد عزمت على أن آمر بكتبك هذه التي وضعتها
فتنسخ ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها بنسخة وآمرهم أن يعملوا بما فيها ولا

يتعدوه

يتعدوه إلى غيره فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل
وسمعوا أحاديث ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ودانوا به من اختلاف
الناس فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم

فصل اعلم أن اختلاف المذاهب
في هذه الملة نعمة كبيرة وفضيلة عظيمة وله سر لطيف أدركه العالمون وعمي عنه الجاهلون
حتى سمعت بعض الجهال يقول النبي صلى الله عليه وسلم جا بشرع واحد فمن أين مذاهب
ومن العجب أيضا من يأخذ في تفضيل بعض المذاهب على بعض تفضيلا يؤدي إلى تنقيص المفضل
عليه وسقوطه وربما أدى إلى الخصام بين السفهاء وصارت عصبية وحمية الجاهلية والعلما
منزهون عن ذلك وقد وقع الاختلاف في الفروع بين الصحابة رضي الله عنهم وهم خير
الأمة فما خاصم أحد منهم أحدا ولا عادى أحد أحدا ولا نسب أحد أحدا إلى خطأ ولا قصور
والسر الذي أشرت إليه قد استنبطته من حديث ورد أن اختلاف هذه الأمة
رحمة من الله لها وكان اختلاف الأمم السابقة عذابا وهلاكا هذا أو معناه ولا
يحضرني الآن لفظ الحديث فعرف بذلك أن اختلاف المذاهب في هذه المسألة
خصيصة فاضلة لهذه الأمة وتوسيع في هذه الشريعة السمحة السهلة فكان الأنبيا
قبل النبي صلى الله عليه وسلم يبعث أحدهم بشرع واحد وحكم واحد حتى إنه من ضيق
شريعتهم لم يكن فيها تخيير في كثير من الفروع التي يشرع فيها التخيير في شريعتنا كتحتم
القصاص في شريعة اليهود وتحتم الدية في شريعة النصارى ومن ضيقها أيضا لم
يجتمع فيها الناسخ والمنسوخ كما وقع في شريعتنا ولذا أنكر اليهود النسخ واستعظموا نسخ
القبلة ومن ضيقها أيضا أن كتابهم لم يكن يقرأ إلا على حرف واحد كما ورد بذلك
الأحاديث وهذه الشريعة سمحة سهلة لا حرج فيها كما قال تعالى يريد الله بكم اليسر
وقال وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية
السمحة فمن سعتها أن كتابها نزل على سبعة أحرف يقرأ بأوجه متعددة والكل كلام
الله ووقع فيها الناسخ والمنسوخ ليعمل بهما معا في هذه الملة في الجملة فكأنه عمل فيها
بالشرعين معا ووقع فيها التخيير بين أمرين شرع كل منهما في ملة كالقصاص والدية
فكأنها جمعت الشرعين معا وزادت حسنا بشرع ثالث وهو التخيير الذي لم يكن في أحد
الشرعين ومن ذلك مشروعية الاختلاف بينهم في الفروع فكانت المذاهب على اختلافها

لعله سعتهم

اعم
نقطا لا ينقو وما جعل